خطبة الجمعة القادمة (صوت الدعاة)
نخبة متميزة
من علماء الأزهر الشريف
ووزارة الأوقاف المصرية

جريدة
صوت
الدعاة

صوت الدعاة
www.doaah.com

سَمَاحَةُ الإِسْلَامِ

6 ربيع الأول 1447هـ - 29 أغسطس 2025م

إعداد: رئيس التحرير د. أحمد رمضان

الموضـــــــوع

الحمدُ للهِ الحليمِ الكريم، الرَّحيمِ بعبادِه، شرعَ دينَه على العدلِ والرحمةِ والمصالح، وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمّدًا عبدُه ورسولُه، أرسله رحمةً للعالمين، صلّى اللهُ عليه وعلى آله وصحبِه، ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدِّين.

أيُّها الأحبَّةُ، ما أشرَقَ نورُ المَولِدِ النَّبَوِيّ حتّى انقشَعَتْ ظُلُماتُ الجاهليَّةِ، وإذا برسولِ اللهِ ﷺ يُؤسِّسُ لِدَعوَةٍ مَبناها السَّماحةُ، ومِحورُها الرَّحمةُ، ورُوحُها العَدلُ والإنصافُ.

وقالَ ﷺ: «إنَّما بُعِثتُ لأُتَمِّمَ مَكارِمَ الأخلاقِ» [الموطأ 1614]، فالسَّماحةُ تاجُ الأخلاقِ، وبها يَسمو الإنسانُ على أهوائِهِ. فالمَولِدُ النَّبَوِيُّ يا عبادَ اللهِ ليسَ ذِكرى تاريخيَّةً فحسب، بل هو نِداءٌ لِكُلِّ مُؤمِنٍ أنْ يَستَضيءَ بِنُورِ السَّماحةِ، وأنْ يَعيشَ بِخُلُقِ الرَّحمةِ في بَيتِهِ ومُجتَمَعِهِ وأُمَّتِهِ.

العنصر الأول: السَّمَاحَةُ فِي الإِسْلَامِ وَمَفْهُومُهَا

السَّماحةُ خلق من أخلاق الإسلام، أمر بها الله سبحانه وتعالي في كتابه، وطبقها النبي ﷺ في حياته، وأمر بها أتباعه، وهي تُطهّر القلب من الغلّ، وتُجسّد صورةَ الإسلام في العيون قبل الآذان؛ ولهذا ارتبط انتشارُه في بقاعٍ واسعة بسلوكِ تجّاره ورفقِ دُعاته.

السماحة لغةً: أصلُ "السَّماحة "من السَّمْح والسماح: السهولةُ والجودُ وتركُ الشُّحّ؛ يقال: رجلٌ سَمْحٌ، أي ليّنُ العريكةِ.

السَّماحةُ خُلُقٌ جامعٌ يُعبّر عن أداءِ الحقوقِ بيسرٍ، ومطالبتِها بإنصافٍ، ومُعاشرةِ الخلقِ برفقٍ وعفوٍ على قاعدةِ العدلِ والالتزامِ بالشريعة؛ فهي تيسيرٌ مشروعٌ لا تمييعَ للدِّين، ولينُ جانبٍ لا تنازلَ عن واجب، وحِلمٌ عند الغضب لا قبولَ لظلم.وتنتظم تحتها معاني: الرِّفق، والعفو، والحِلم، ولينُ الخطاب، وإقالةُ العثرة، مع صيانةِ ثوابت الشريعة وحقوقِ العباد.

مقاربةٌ جامعةٌ لمجالاتِ السَّماحة

مع الله تعالى: عبادةٌ بلا تكلّفٍ فوق الطاقة، وأخذٌ بالرُّخص عند العسر؛ قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: 78]، وقال: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَوَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: 185].

مع النفس: مجاهدةٌ بميزانٍ من التوازن؛ لا إرهاقَ ولا تتبُّعَ للوساوس، بل ثباتٌ واقتصاد.

مع الناس: لطفٌ وعدلٌ وإنصافٌ وكظمُ غيظٍ وإصلاح؛ على هَدْي قوله ﷺ: «يسِّروا ولا تُعسِّروا، وبشِّروا ولا تُنفِّروا» متفقٌ عليه (البخاري: ح 69، مسلم: ح 1734).

التفريقُ بين السَّماحةِ وبعضِ قرائنِها

الرِّفق: لينٌ في الوسيلة مع ثباتِ المقصد (أي التمسُّكُ بالهدفِ الحقّ وعدمُ التنازلِ عنه).

الحِلم: ضبطُ النفس عند ثورانِ الغضب.

العفو: الصَّفحُ عمّن أخطأ مع القُدرةِ على الانتقامِ واستردادِ الحقّ.

التغافل: إظهارُ الغفلةِ عن الهفوةِ مع العلمِ بها؛ حفظًا للمودّةِ وإصلاحًا للقلوب.

والسَّماحةُ إطارٌ يضمُّ هذه المعاني ويُوازنها بميزانِ الشرع والعدل.

أَحسِنْ إلى النّاسِ تَستعبدْ قلوبَهمُ ** لطالما استعبدَ الإنسانَ إحسانُ

العنصر الثاني: مظاهرُ السَّماحةِ وصورُها

سنمضي –عبادَ الله– عبر محاورَ متتابعةٍ تُظهِرُ صورَ السَّماحة في حياة المسلم، ثم نختم بوجوب نشرِها في واقعنا.

أولًا: السَّماحةُ في الاعتقادِ والعبادةِ والتكليف

قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: 78]، ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: 286].

أَيْ: لَا يُكَلِّفُ أَحَدًا فَوْقَ طَاقَتِهِ، وَهَذَا مِنْ لُطْفِهِ تَعَالَى بِخَلْقِهِ وَرَأْفَتِهِ بِهِمْ وَإِحْسَانِهِ إِلَيْهِمْ، وَهَذِهِ هِيَ النَّاسِخَةُ الرَّافِعَةُ لِمَا كَانَ أَشْفَقَ مِنْهُ الصَّحَابَةُ، فِي قَوْلِهِ: (وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللهُ) البقرة 284، أَيْ: هُوَ وَإِنْ حَاسَبَ وَسَأَلَ لَكِنْ لَا يُعَذِّبُ إِلَّا بِمَا يَمْلِكُ الشَّخْصُ دَفْعَهُ، فَأَمَّا مَا لَا يُمْكِنُ دَفْعُهُ مِنْ وَسْوَسَةِ النَّفْسِ وَحَدِيثِهَا، فَهَذَا لَا يُكَلَّفُ بِهِ الإِنْسَانُ" تفسير ابن كثير، ج1، ص572. ط. العلمية.

ثانيًا: السَّماحةُ في الدعوةِ والخِطاب

قاعِدةُ البلاغ: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: 125]. يفسّر طنطاوي الحكمة بأنّها وضعُ الشيءِ موضعَه، والقولُ الصوابُ الموافقُ للعقلِ والنقلِ، والموعظةُ الحسنة هي اللينُ الذي يفتحُ الأذنَ والقلب... وجادلهم: بأَنْ تَكُونَ مُجَادَلَتُكَ لَهُمْ مَبْنِيَّةً عَلَى حُسْنِ الإِقْنَاعِ، وَعَلَى الرِّفْقِ وَاللِّينِ وَسِعَةِ الصَّدْرِ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ أَبْلَغُ فِي إِطْفَاءِ نَارِ غَضَبِهِمْ، وَفِي التَّقْلِيلِ مِنْ عِنَادِهِمْ، وَفِي إِصْلَاحِ شَأْنِ أَنْفُسِهِمْ، وَفِي إِيمَانِهِمْ بِأَنَّكَ إِنَّمَا تُرِيدُ مِنْ وَرَاءِ مُجَادَلَتِهِمُ الوُصُولَ إِلَى الحَقِّ دُونَ أَيِّ شَيْءٍ سِوَاهُ". التفسير الوسيط ج8، ص262.

ثالثًا: السَّماحةُ في المعاملاتِ والديونِ والتجارة

أيها الإخوة الكرام، السَّماحةُ في البيع والشراء، والرفقُ في الاقتضاء، ونزاهةُ الكيل والوزن، ليست مجرد سلوكٍ حضاري، بل هي عبادةٌ وخلقٌ نبويّ، وميزانٌ لصدق التديُّن، وبرهانٌ على صفاء القلب. وقد أمرنا الله تعالى بها في كتابه، وحذّر من ضدها، فقال جل شأنه: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ [المطففين: 1]، ونهى عن التضييق على المعسرين، فقال سبحانه: ﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ﴾ [البقرة: 280].

تَحلَّ بالسَّماحةِ والسَّخاءِ *** فكِلاهُما خُلقُ الكِرامِ

رابعًا: السَّماحةُ في الإصلاحِ وفضِّ الخصومات

أصلٌ قرآني: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ [النساء: 114]، و﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [فصّلت: 34].

قواعدُ من السُّنّة: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الغَضَبِ» [صحيح البخاري، ح 6114، ن عطاءات العلم، وصحيح مسلم، ح 2609].

ونحنُ نعيشُ ذِكرى مَولدِ خيرِ البريَّةِ ﷺ، نَستحضِرُ سَماحتَهُ العَظيمةَ الَّتي أشرَقَتْ في أشدِّ المواقِفِ قَسوةً؛ ففي الطائفِ لما آذَوه؛ خُيّر بين الهلاكِ لهم أو العفو، فقال: «بل أرجو أن يُخْرِجَ اللَّهُ مِن أصلابِهِم مَن يعبدُ اللَّهَ، لا يشرِكُ بِهِ شيئًا» البخاري (3231)، مسلم (1795).

يوم الفتح قال لأهلِ مكّة –وقد مَلكَ رقابَهم–: «اذهبوا فأنتم الطُّلَقاء»؛ كلمةٌ أنهت ثأرَ قرون. ابن حجر يعلّق على مواقفِ العفو: فيها اجتلابُ القلوبِ إلى الدّين.

إذا قدِرتَ على العِدى فاجعلْ ** عفوَكَ شُكرًا للقُدرةِ

خامسًا: السَّماحةُ مع غيرِ المسلمين

تأصيل: ﴿لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: 8].

قام ﷺ لجنازةِ يهوديٍّ، فقيل: إنها يهودي، قال: «أليست نفسًا؟» (متفق عليه). كرامةُ الإنسان مُقدَّمة.

أثرُ عمر: رأى شيخًا ذمّيًّا يسأل، فقال: ما أنصفناه! أكلنا شبيبته ثم نخذله عند هرمه، وأجرى له رزقًا من بيت المال (مصنّف ابن أبي شيبة).

سادسًا: السَّماحةُ في الأسرةِ والجوار

أصلٌ قرآني: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: 19]، ووصيةُ الجارِ قال تعالى: "وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ" [النساء: 36].

"خيرُكم خيرُكم لأهله، وأنا خيرُكم لأهلي» (الترمذي: حسن صحيح).

"ما زال جبريلُ يو.صيني بالجار...» (متفق عليه).

"إذا طبختَ مرقةً فأكثر ماءَها وتعاهد جيرانَك» (مسلم).

سابعًا: سيرةٌ تهدي —قصصُ هدايةٍ بسماحة

قصةٌ شاهدةٌ: عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ: «بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ خَيْلًا قِبَلَ نَجْدٍ فَجَاءَتْ بِرَجُلٍ مِنْ بَنِي حَنِيفَةَ يُقَالُ لَهُ: ثُمَامَةُ بْنُ أُثَالٍ، سَيِّدُ أَهْلِ الْيَمَامَةِ، فَرَبَطُوهُ بِسَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: مَاذَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟ فَقَالَ: عِنْدِي يَا مُحَمَّدُ خَيْرٌ، إِنْ تَقْتُلْ تَقْتُلْ ذَا دَمٍ، وَإِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَى شَاكِرٍ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْمَالَ فَسَلْ تُعْطَ مِنْهُ مَا شِئْتَ"، **وفي اليوم الثالث قال النبي** ﷺ: "أَطْلِقُوا ثُمَامَةَ. فَانْطَلَقَ إِلَى نَخْلٍ قَرِيبٍ مِنَ الْمَسْجِدِ فَاغْتَسَلَ، ثُمَّ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، يَا مُحَمَّدُ، وَاللهِ مَا كَانَ عَلَى الْأَرْضِ وَجْهٌ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ وَجْهِكَ، فَقَدْ أَصْبَحَ وَجْهُكَ أَحَبَّ الْوُجُوهِ كُلِّهَا إِلَيَّ، وَاللهِ مَا كَانَ مِنْ دِينٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ دِينِكَ، فَأَصْبَحَ دِينُكَ أَحَبَّ الدِّينِ كُلِّهِ إِلَيَّ، وَاللهِ مَا كَانَ مِنْ بَلَدٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ بَلَدِكَ، فَأَصْبَحَ بَلَدُكَ أَحَبَّ الْبِلَادِ كُلِّهَا إِلَيَّ". مسلم (ح1764)، رواه البخاري مختصرًا (ح462).

الخطبة الثانية:

الحمدُ للهِ الَّذِي جَعَلَ فِي ذِكْرَى أَيَّامِهِ مَجَالِسَ لِلذَّاكِرِينَ، وَمَنَابِعَ نُورٍ لِلْمُتَّقِينَ. وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبدُه ورسولُه، خيرُ الورى، وسيدُ الدُّعاة، وإمامُ أهل السماحة والرحمة. اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمدٍ، النبيِّ الأميِّ، وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين.

العنصر الرابع: وَافَى رَبِيعٌ فَمَرْحَبًا بِهِلَالِهِ

المولد النبوي حدث غيَّر مجرى التاريخ

أيها الأحبة في الله، وافى ربيعٌ فمرحبا بهلاله؛ ففيه بزغ نور محمد ﷺ، النورُ الَّذِي بَهَرَ أَبْصَارَ الْبَصَائِرِ قَبْلَ أَنْ يُبْهِرَ الأَبْصَارَ. روت السيدة آمنة: «رَأَيْتُ حِينَ وَلَدْتُهُ نُورًا خَرَجَ مِنِّي أَضَاءَتْ لَهُ قُصُورُ الشَّامِ» [مسند أحمد، رقم (17163)، تحقيق شعيب الأرناؤوط، ج 28 ص 385، إسناده صحيح].

فَلَيْسَ مِيلَادُهُ ﷺ حَدَثًا عَابِرًا؛ بَلْ هُوَ بَدَايَةُ عَهْدٍ جَدِيدٍ لِلْبَشَرِيَّةِ، عَهْدٍ تُهْدَمُ فِيهِ أَصْنَامُ الْوَثَنِيَّةِ، وَتُبْنَى مَعَالِمُ التَّوْحِيدِ، عَهْدٌ تَخْرَسُ فِيهِ أَلْسِنَةُ الْكُهَّانِ، وَتُسْمَعُ فِيهِ آيَاتُ الْقُرْآنِ، عَهْدٌ تَنْقَشِعُ فِيهِ ظُلُمَاتُ الْجَهْلِ، وَتُشْرِقُ شُمُوسُ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ [المائدة: 15]، قَالَ الْإِمَامُ الطَّبَرِيُّ: «النُّورُ: هُوَ مُحَمَّدٌ ﷺ، وَالْكِتَابُ الْمُبِينُ: هُوَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ» [جَامِعُ الْبَيَانِ، ط. هَجَر، ج10، ص 397].

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ، إِنَّ مِيلَادَهُ ﷺ هُوَ الْمَفْصِلُ الْأَعْظَمُ فِي مَسِيرَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ؛ فَكَمَا يَنْقَسِمُ الزَّمَانُ إِلَى مَا قَبْلَ الْمِيلَادِ وَمَا بَعْدَهُ، فَإِنَّ الْبَشَرِيَّةَ انْقَسَمَتْ إِلَى مَا قَبْلَ مَوْلِدِهِ ﷺ وَمَا بَعْدَهُ؛ إِذْ تَغَيَّرَتِ الْمَوَازِينُ، وَتَبَدَّلَتِ الْقُلُوبُ، وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِعَدْلِ الْإِسْلَامِ وَنُورِ الْقُرْآنِ.

فَرَحُ الْكَوْنِ بِقُدُومِ خَيْرِ الْأَنَامِ ﷺ

لَقَدْ فَرِحَ الْكَوْنُ كُلُّهُ بِمِيلَادِ خَيْرِ الْوَرَى ﷺ. فَقَدْ صَحَّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِنِّي عِنْدَ اللَّهِ مَكْتُوبٌ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ، وَإِنَّ آدَمَ لَمُنْجَدِلٌ فِي طِينَتِهِ، وَسَأُخْبِرُكُمْ أَوَّلُ ذَلِكَ دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ، وَبُشْرَى عِيسَى، وَرُؤْيَا أُمِّي الَّتِي رَأَتْ، أَنَّهُ خَرَجَ مِنْهَا نُورٌ أَضَاءَتْ لَهُ قُصُورُ الشَّامِ» [الْمُسْتَدْرَكُ لِلْحَاكِمِ، رَقْم (4228)، ج 2 ص 608، وَقَالَ: صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ وَوَافَقَهُ الذَّهَبِيُّ].

إِنَّهُ مِيلَادٌ لَمْ يَفْرَحْ بِهِ الْمُؤْمِنُونَ وَحْدَهُمْ، بَلْ فَرِحَتْ بِهِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَفَرِحَتْ بِهِ الْكَائِنَاتُ جَمِيعًا؛ فَقَدْ كَانَ مِيلَادُهُ ﷺ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الْأَنْبِيَاء: 107].

قَالَ الْإِمَامُ الْقُرْطُبِيُّ: «الرَّحْمَةُ هُنَا عَامَّةٌ، دَخَلَ فِيهَا الْمُؤْمِنُ وَالْكَافِرُ؛ فَالْمُؤْمِنُ رَحْمَةٌ لَهُ بِهَدَايَتِهِ، وَالْكَافِرُ رَحْمَةٌ لَهُ بِكَفِّ الْعَذَابِ الْمُسْتَأْصِلِ عَنْهُ» [الْجَامِعُ لِأَحْكَامِ الْقُرْآنِ، ط. الرِّسَالَةِ، ج13، ص 350].

أَيُّهَا الْأَحِبَّةُ، مَنْ لَمْ يَفْرَحْ بِمِيلَادِ النَّبِيِّ ﷺ فَبِمَاذَا يَفْرَحُ؟ وَمَنْ لَمْ يَسْعَدْ بِذِكْرَى ظُهُورِهِ، فَعَلَامَ يَسْعَدُ؟ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾ [يُونُس: 58]. قَالَ الْمُفَسِّرُونَ: فَضْلُ اللَّهِ الْإِسْلَامُ، وَرَحْمَتُهُ مُحَمَّدٌ ﷺ [تَفْسِيرُ الْبَغَوِيِّ، ج 2 ص 406].

مَشْرُوعِيَّةُ الْفَرَحِ بِالْمَوْلِدِ وَ أَقْوَالُ الْأَئِمَّةِ

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ، لَقَدْ أَجْمَعَ أَئِمَّةُ الْإِسْلَامِ عَلَى اسْتِحْبَابِ الْفَرَحِ بِمِيلَادِ النَّبِيِّ ﷺ، وَعَدُّوا ذَلِكَ مِنْ أَعْظَمِ الْقُرُبَاتِ.

قَالَ الْإِمَامُ الْحَافِظُ السَّخَاوِيُّ (ت 902هـ): «مَا زَالَ أَهْلُ الْإِسْلَامِ فِي سَائِرِ الْأَقْطَارِ وَالْمُدُنِ الْعِظَامِ يَحْتَفِلُونَ فِي شَهْرِ مَوْلِدِهِ ﷺ، وَيُظْهِرُونَ السُّرُورَ، وَيَزِيدُونَ فِي الْمَبَرَّاتِ، وَيَتَصَدَّقُونَ فِي لَيَالِيهِ بِأَنْوَاعِ الصَّدَقَاتِ، وَيَعْتَنُونَ بِقِرَاءَةِ مَوْلِدِهِ الْكَرِيمِ، وَيَظْهَرُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَرَكَاتِهِ كُلُّ فَضْلٍ عَمِيمٍ» [الْأَجْوِبَةُ الْمَرْضِيَّةُ، ص 136].

فَأَيْنَ نَحْنُ مِنْ هَذِهِ النُّصُوصِ الْجَلِيلَةِ؟! إِنَّ الْفَرَحَ بِمِيلَادِهِ ﷺ لَيْسَ مُجَرَّدَ عَادَةٍ اجْتِمَاعِيَّةٍ، بَلْ هُوَ تَعْبِيرٌ عَنِ الْإِيمَانِ، وَتَجْدِيدٌ لِلْعَهْدِ مَعَ الْحَبِيبِ الْمُصْطَفَى ﷺ.

كَيْفَ نُحْيِي الْمَوْلِدَ النَّبَوِيَّ عَمَلِيًّا؟

أَيُّهَا الْأَحِبَّةُ، لَيْسَ الِاحْتِفَالُ بِالْمَوْلِدِ مُجَرَّدَ شِعَارَاتٍ أَوْ أَصْوَاتٍ، بَلْ هُوَ تَجْسِيدٌ حَيٌّ لِمَحَبَّتِهِ ﷺ.

وَمِنْ أَعْظَمِ صُوَرِ الِاحْتِفَالِ الْمَشْرُوعِ:

1- **الْإِكْثَارُ مِنَ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْهِ ﷺ**؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الْأَحْزَاب: 56].

2- **قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَالسِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ**؛ فَفِيهَا حَيَاةُ الْقُلُوبِ وَنُورُ الْأَبْصَارِ.

3- إِطْعَامُ الطَّعَامِ وَالصَّدَقَةُ عَلَى الْفُقَرَاءِ؛ قَالَ ﷺ: «خَيْرُكُمْ مَنْ أَطْعَمَ الطَّعَامَ» [مُسْنَدُ أَحْمَدَ، رَقْم (23408)، ج 37 ص 475، إِسْنَادُهُ حَسَنٌ].

4- **إِصْلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ**؛ فَإِنَّ أَعْظَمَ مَا نُقَدِّمُهُ فِي ذِكْرَى مَوْلِدِهِ ﷺ أَنْ نَكُونَ دُعَاةَ وَحْدَةٍ وَرَحْمَةٍ.

5- تَعْلِيمُ الْأَبْنَاءِ مَحَبَّةَ النَّبِيِّ ﷺ عَبْرَ الْقَصَصِ وَالْمَدَائِحِ، حَتَّى يَنْشَؤُوا قُلُوبًا بَيْضَاءَ مُتَعَلِّقَةً بِهِ.

فَوَاللهِ مَا أُحْيِيَتْ ذِكْرَاهُ بِالْمَدَائِحِ إِلَّا ازْدَادَتِ الْقُلُوبُ حُبًّا لَهُ، وَمَا أُقِيمَتِ الْمَجَالِسُ لِذِكْرِهِ إِلَّا تَنَزَّلَتِ الرَّحَمَاتُ، وَمَا فَاضَتْ دُمُوعُ الشَّوْقِ إِلَيْهِ إِلَّا طَابَتِ الْأَرْوَاحُ بِنُورِ هَدْيِهِ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ، إِنَّ ذِكْرَى مَوْلِدِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ لَيْسَتْ مُجَرَّدَ تَارِيخٍ يُسْتَذْكَرُ، وَلَا حَدَثٍ يُرْوَى، بَلْ هِيَ مِيثَاقُ إِيمَانٍ، وَعَهْدُ وَلَاءٍ، نُجَدِّدُ فِيهِ مَحَبَّتَنَا لِنَبِيِّ الرَّحْمَةِ ﷺ، وَنُعَاهِدُ رَبَّنَا عَلَى الِاقْتِدَاءِ بِهِ فِي كُلِّ دُرُوبِ الْحَيَاةِ.

فَأَظْهِرُوا فَرَحَكُمْ بِهِ ﷺ بِطَاعَةِ اللَّهِ، وَاحْفَظُوا ذِكْرَاهُ بِسُنَّتِهِ، وَانْشُرُوا سَمَاحَتَهُ فِي الْبُيُوتِ وَالْمُجْتَمَعَاتِ، لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ كَمَا كَانَ هُوَ شَهِيدًا عَلَيْنَا.

اللَّهُمَّ يَا مَن بَشَّرْتَ الْوُجُودَ بِنُورِ مِيلَادِهِ ﷺ، اجْعَلْنَا مِنَ الْفَرِحِينَ بِهِ، الْمُقْتَدِينَ بِهَدْيِهِ، الْمُتَخَلِّقِينَ بِسَمَاحَتِهِ.

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ فِي الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، وَفِي كُلِّ وَقْتٍ وَحِينٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

المراجع: القرآن الكريم، كتب الحديث: صحيح البخاري، صحيح مسلم، سنن أبي داود، سنن ابن ماجه، سنن الترمذي (الجامع الكبير)، سنن النسائي، مسند أحمد، المعجم الكبيرللطبراني. المصنف لابن أبي شيبة.

ثالثًا: كتب التفسير وشروح الحديث وغيرهما: تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)، تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)، تفسير ابن كثير، الوسيط لطنطاوي، تَفْسِيرُ الْبَغَوِيّ، شرح البخاري لابن حجر، شرح البخاري لابن بطال، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للنووي، حلية الأولياء، مَدَارِجُ السَّالِكِينَ لابْنُ القَيِّم، الْأَجْوِبَةُ الْمَرْضِيَّةُ للسخاوي.

د. أحمد رمضان